شـــاعر

للأســـتاذ احمد أمين

شاعرنا اليوم نشأ جاهليا ، ونشأ فى الطائف . والطائف مدينة فى الجنوب الشرقى من مكة تبعد عنها خمسة وسبعين ميلا ، اشتهرت بطيب هوائها وجودة مزارعها . وقد اعتاد المترفون من العرب أن يقضوا الربيع بجُدَّة ، والصيف بالطائف ، والشتاء بمكة . قال النميرى يصف أخت الحجاج بالنعمة :

تشتو بمكةَ نِعْمَةً ومَصِيفُها بالطائف

أخصبت أرضها ، وجرى الماء فى وديانها ، فكثرت مزارعها ، وجادت فواكهها ، من نخيل وأعناب . بها جبل يقال له « غَزْوان » كثرت كرومه ، وكان عنبه العذب وزبيبه الحلو مضرب المثل جودة وكثرة ، حتى ليروون أن سليمان بن عبد الملك لما حج رأى بيادر الزبيب فظنها حِرَارًا (١) فقالوا ليست حراراً ولكنها بيادر الزبيب

وقد حسدهم العرب على ما هم فيه من نعمة ، فسوَّروا بلدتهم وحصنوها من أعدائهم ، فصارت ملجأ الهارب وملاذ الخائف ، وضرب المثل بمناعتها حتى قال القائل :

مَنَعْنَا أرضَنَا من كل حَيٍّ كما امتَنَعَتْ بطائفِها ثقيف

كان يسكن الطائف قبيلة ثقيف ، وقد أكسبتهم أرضهم وثروتهم وطبيعة بلادهم وجوّهم رقيًا فى الحياة من الناحية الاجتماعية والعقلية ، فاقوا فيهما مَن حولهم من السكان ، وشعروا بعظمتهم فأكثروا من الفخر بأنفسهم ؛ وقال قائلهم :

وقد علمت قبائل جذمِ قَيْسٍ وليس ذوو الجهالة كالعليم
بأنا نُصْبح الأعداء قِدْماً بِجَالَ الموت بالكأس الوخيم
وأنّا نَنْبَتِي شرف المعالى ونُنْعِشُ عثرة المولى العديم
وانا لم نزل لجأ وكهفا كذاك الكهل منا والفطيم

وقد أنجبت ثقيف شعراء مجيدين فى الجاهلية والاسلام ، كما أنجبت ساسة وقادة نبه ذكرهم ، وعظم أمرهم ، فاشتهر منها من شعراء الجاهلية الشاعر المتدين أمية بن أبى الصلت ، وفى العصر الأموى الشاعر الشريف طُرَيح الثقفى ، والشاعر الحكيم الأجرد الثقفى — واشتهر من أمرائها وساستها وقادتها الأمير القوى الحجاج بن يوسف الثقفى . والقائد الشاب محمد ابن القاسم الثقفى فاتح السند ولما يكتمل العشرين . والذى قال فيه القائل :

ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤدداً من مولد

كما أن ثروتهم وحضارتهم استتبعت شهرتهم بالفجور والربا حتى أن رسول الله لما صالحهم كان من شروط الصلح أن يسلموا وألا يزنوا ولا يَرْبوا

كذلك كانت كثرة العنب والزبيب فى بلادهم سبباً فى شيوع الخمر بينهم وولوع أهلها بشربها

وقد كانت الخمر شائعة بين العرب فى الجاهلية ، ولكن بين خاصتهم لا بين عامتهم ، إذ أن عامتهم قد عدموا القوت وحرموا ضرورات العيش . أما المترفون فشربوا كثيراً وقالوا فى شربها كثيراً . وقلّ أن نجد شاعراً جاهليا لم يتمدح بشربها وإتلاف ماله فى سبيلها .

وكانت الخمر تأتيهم من الشام ومن اليمن ومن الطائف ، وكان الأعشى الشاعر يتجر فيها ، وكان له بقرية فى اليمن يقال لها « أثافت » معصَرة للخمر يعصر فيها ما يقدم له من أعناب

ونلاحظ من تاريخ العرب فى الجاهلية وتراجم رجالها أن هناك طبقة من الشباب اعتادت أن تتلف مالها فى الشراب ، هم فتة من أولاد السراة ، نشأوا فى ثروة وجاه ، وألّفت بينهم وحدة النزعة ، يجتمعون فى المواسم والأعياد والمناسبات فينحرون الجزور ويهيأ لهم ، ويشربون عليه وتغنيهم القيان أو الموالى من الفرس والروم والأحباش ، ولكن هـــذه الطبقة لم تفقد مع شربها ولهوها شرفها وإباءها ، فهى مع ذلك كله نبيلة كل النبل شريفة كل الشرف — ثارت على كل شىء إلا قانون المروءة ، وقانون المروءة يتلخص فى الشجاعة والكرم . لا يعبأون بالحياة ، يبذلونها — فى سخاء — لأنجاد من استنجد بهم ، ونصرة الضعيف يستصرخهم ويلجأ اليهم ،

(١) الحرار جمع حرة أرض بركانية سوداء ، وبلاد العرب حرار كثيرة

لا قيمة لحيانهم اذا مست كرامتهم أو كرامة قبيلتهم أو اعتدى أحد على جارهم أو حليفهم أو عبدهم . ولا قيمة للمال يوم يسألهم سائل أو يدعوهم لبذله داع ، ولا بأس بالفقر يحل بهم وينزل بساحتهم . ولا ضرر اذا خسروا المال وكسبوا الشرف ، وويل لزوجاتهم إذا لمنهم فى الاستهتار بالحياة أو إتلاف المال ، إذ ذاك يصبون عليهن نقمتهم ويملؤن الدنيا شعرا فى لومهن وتأنيبهن

شاعرنا اليوم كان من هذه الطبقة . فتى . غنى . من ثقيف ، من الطائف - شجاع ، كريم ، يكثر الشراب ، ويتلف المال ويحتفظ بالمروءة ويقول

لا تسأل الناسَ عن مالى وكثرته
وسائل الناس عن حزمى وعن خلقى

القوم أعلم أنى من سَرَاتِهِم
إذَا تطيش يد الرَّعْدِيدَةِ الفَرِق

قد أركب الهَوْلَ مَسْدُولاً عساكره
وأكتم السِّرَّ فيه ضَرْبَةَ العنقِ

عف المطالب عمـا لست نائلَه
وإن ظُلمت شديد الحِقْدِ والحَنَقِ

وقد أجود وما مالى بذى فنع (١)
وقد أكُرُّ وراء المِحْجَرِ الفَرِقِ (٢)

سيكثر المالُ يوماً بعد قلّته
ويَكْتَسِى العود بَعْدَ اليبْسِ بالوَرَقِ

ظلت ثقيف على جاهليتها لا تذعن لدعوة الاسلام حتى أسلم مَن حولها ورأت نفسها بمعزل ، فاضطرت إلى الاسلام فى السنة التاسعة للهجرة ، وسمع شاعرنا بالاسلام وتعاليمه فوقف حائرا ؛ إن الإسلام يدعو إلى المروءة وهو ذو مروءة ، إن الاسلام يدعو إلى الصدق ومكارم الأخلاق وكل هذا حسن «فليسلم» ولكنه يأمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم ، ولا يمدوا أعينهم إلى غير نسائهم ، كما ينهى عن الخمر ويعاقب على شربها ، فكيف يسلم وقد ألف الغزل ولا حياة له بغير الخمر ؟ وقف قليلا ولكنه أسلم مع قومه وفوض إلى الله أمره - ولم نسمع عنه فى حياة رسول الله وأبى بكر شيئا ولكنا نراه اصطدم مع عمر وهو الشديد فى الحق لا تأخذه فيه هوادة . فعاد شاعرنا يتغزل ويشرب - يرى امرأة من الأنصار تسمى « الشَّمُوس » فيحبها ويحاول رؤيتها بكل حيلة فلا يستطيع ، فيؤجر نفسه ويعمل فى حائط يبنى بجانب منزلها ويطل عليها من كُوَّة البستان ويقول :

ولقد نظرت الى الشَّمُوس ودونهـا
حَرَجٌ من الرحمن غـير قليل

ويشرب ويقول الشعر فى الخمر :

ان كانت الخمر قد عزت وقد منعَتْ
وحال من دونها الاسلام والحرج

فقـد أباكرها صِرفاً وأمزجها
ريًّا وأطرب أحياناً وأمتزج

فيحده عمر حد الشرب ، فيفكر شاعرنا ويطيل التفكير : هل يترك الغزل والخمر ؟ - لقد كان ذلك قبل الحد أما بعده فلا - إن من العار أن يتحدث الناس أنى تركت الخمر خوفا من العقوبة وأنا الأبى الشجاع الذى لا يعبأ بالحياة - إذن فلأشرب وليحدنى عمر - وفعلا شرب فحد ، وشرب فحد ، وبلغ ذلك سبع مرات أو ثمانيا ، وهو لا يزال على رأيه ، مصمم على تفكيره ، ماض فى غزله وشربه ، حتى يئس عمر من علاجه وضاق به ذرعا ، فقرر أن ينفيه فى جزيرة كانت تَنفى فيها العرب فى الجاهلية خلعاءها ، وبعث معه حَرَسيًّا يحافظ عليه حتى لا يهرب ، وأوصاه ألا يأخذ سجينه سيفا معه ، وقد عرف عمر كيف ينتقم ، فلم يألم شاعرنا من شىء ألمه من هذا الرأى - سيكون فى جزيرة وحده لا غزل ولا شراب ، ولكن ليس هذا ما آلم نفسه وأدمى قلبه ، إنما آلمه أن يعيش عيشة الضعفاء المساكين والرجال فى غزوات الحرب يَقتُلون ويُقتَلون ، وأن يعيش عيشة النساء فى خدورهن وهو الفارس الكمى ، لا . لا . الموت أهون من هـذا

تظاهر شاعرنا بأنه يحمل غرارتين ملتا دقيقا وعمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة ، وجفنه فى غرارة ، ودفنهما فى الدقيق

(١) الفنع زيادة المال ومال ذو فنع « كثير » (٢) المحجر الهارب الذى ألجى الى الجحر

حتى إذا جاوزهو والحرسى المدينة ولقيا من سفرهما هذا نصبا جلسا للغداء. فقام شاعرنا يوهم أنه يخرج دقيقاً فأخرج سيفه ووثب على الحرسى فخرج يعدو على بعيره راجعاً إلى المدينة وظل صاحبنا وحده. الآن، لا أعود إلى المدينة وفيها عمر، ولا أطوف فى البلاد ألهو فلست بعد اليوم لا هيا، ولكن إلى حيث يحيا الرجال والفرسان حياة النجدة والشهامة — الى مواقع الغزوات. إلى أشدها هولا. وأصعبها مراساً إلى «القادسية» حيث المواقع الفاصلة بين سيادة العرب وسيادة الفرس

ولكن عمر الساهر على كل شىء فى مملكته، لم يخف عليه أمر شاعرنا. فعرف أين توجه، فما وصل الى القادسية حتى سبقه كتاب عمر يأمر سعد بن أبى وقاص بحبسه. ففعل ذلك وحبسه فى قصره وقيده، فمشى يرسف فى قيوده ويستعطف سعداً أن يطلقه فزجره، فذهب الى سلمى زوج سعد وقال لها: هل لكِ إلىّ خير؟ قالت: وماذاك؟ قال: تخلين عنى وتعيرينى البلقاء (فرس سعد) فلله علىّ إن سلمنى الله أن أرجع اليك حتى تضعى رجلى فى قيدى، فأبت فقام ثائراً حزيناً، يرى القتال على الباب وهو يرسف فى القيد، وانطلق لسانه بهذه الأبيات:

كفى حزناً أن تطعَنَ الخيل بالقَنَا
وأُترَكَ مَشْدودًا علىّ وِثاقِيَا
إذا قمت عَنَّانى الحديد وغلِّقَتْ
مَغاليق مِنْ دونى تصِمُّ المَنادِيَا
وقد كنت ذا أهلٍ كثيرٍ وإخوة
فقد تركونى واحـــدا لا أخا لِيا
هـــلم ســـلاحى لا أبالك انّنى
أرى الحربَ لا تزداد الا تَمادِيا
ولله عهـــد لا أخيس بعَهْده
لئن فَرَجَتْ ألاّ أزورَ الحَوانِيَا (١)

سمعت سلمى هذا الشعر فرثت له ورأت الصدق فى قوله فأطلقته، واقتاد فرس سعد وخرج إلى مواطن القتال واذا به أمام الناس يقف بين الصفين ويحمل على العدو حملات منكرة حتى عجب الناس من قتاله وأمره، ورأوا الفرس فرس سعد والطاعن لم يشهد الحرب معهم قبل اليوم، حتى إذا انتصف الليل وتحاجز العسكران رجع صاحبنا إلى القصر وأعاد رجليه فى القيد!

فلما أصبح الصباح تحدث الناس به وأخبرت سلمى سعدا بما كان منه فأطلقه وعاهده ألا يحده أبدا إذا شرب

الآن ظهرت نفس شاعرنا فى شرفها ونبلها وقال لسعد كنت آنف أن أتركها من أجل الحد، فأما اذ بَهْرَجْتَنى فلا والله لا أشربها أبدا

لقد كان مما أخذه عمر عليه قوله:

إذا متُّ فادفنّى الى أصـــلِ كرْمَةٍ
تروِّى عظامى بعـــد موتى عروقها
ولا تدفنى بالفَـــلاَةِ فاننى
أخافُ اذا ما مت ألا أذوقهـــا

ويشاء قاص من الظرفاء فيروى أنه رآى قبره بتواخى أذربيجان أو جرجان وقد نبتت عليه ثلاث كروم قد طالت وأثمرت واعترشت، وعلى قبره مكتوب:—

هـــذا قبر أبى محجَن الثقفى

أفاض الله عليه سِجَال رحمته فقد كان رجلا وكان نبيلا؟

أحمد أمين

الى أخينا فى الوطن والشباب

إن الجهاد من أجل مصر فريضة على كل مصرى.. وهى فريضة حملها الشباب فى كل المواقف مخلصين لها، أمناء عليها. وها هو ذا عيد الوطن الاقتصادى ميدان جديد لجهادك، وحسن بلائك... فماذا يقعد بك عن الانتظام فى جيش المتطوعين لنصرته؟!..

... توزع الدليل، وتبيع المنتجات، وتشترك فى الموكب والمهرجان، وتدعو الى صناعة مصر وتجارتها.

اطلب الاستمارة الخاصة بذلك من سكرتير اللجنة التنفيذية بمقرها فى نادى الجامعـــة المصرية ٢٢ شارع المناخ بمصر تليفون ٥٠٥١٨

---

(١) الحوانى جمع حانية وهى الحانوت